



المسرح والعلوم الإنسانية: تداخل الفن مع دراسة الإنسان والمجتمع

Theater and the human sciences: the interference of art with the human and society studies

بوشيك عبد الرحمان*

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس - الجزائر -

البريد الإلكتروني المهني: abderrahmane.bouchikh@univ-sba.dz

تاريخ النشر
2025/06/01

تاريخ القبول
2025/02/17

تاريخ الإيداع
2024/12/03

الملخص: هدف هذا البحث إلى استكشاف دور المسرح كوسيلة فنية تعكس التفاعلات الاجتماعية والنفسية، وتتناول قضايا اجتماعية وفلسفية. يتم ذلك من خلال تحليل كيفية معالجة المسرح لمواضيع مثل الطبقات الاجتماعية، السلطة، والعدالة. كما يسعى البحث إلى فهم كيف يعكس المسرح التحولات التاريخية والاجتماعية، وي طرح تساؤلات فلسفية حول الوجود والمعنى. باستخدام المنهج الوصفي التحليلي و"المنهج النقدي الثقافي"، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: أظهرت النتائج أن المسرح لا يعمل فقط كمرآة للمجتمع، بل يعكس أيضًا الصراعات الاجتماعية والنفسية التي يواجهها الأفراد والمجتمعات. كما تبين أن المسرح يعزز القيم الإنسانية ويعتبر أداة فعالة لتنمية التفكير النقدي من خلال طرح قضايا مثل العدالة والمساواة. بالإضافة إلى ذلك، أظهرت النتائج أن المسرح يسهم بشكل كبير في تحقيق فهم أعمق للإنسان والمجتمع، ويعكس التحديات والظروف الاجتماعية من خلال تناول موضوعات متجددة تتماشى مع التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: المسرح ؛ العلوم الإنسانية ؛ التفاعلات الاجتماعية ؛ الفهم الإنساني .

Abstract: This paper aims at discovering the role of theater as an artistic tool that reflects the social and psychological interactions, and tackles social and philosophical issues. In so doing, we analyze how the theater handles topics such as the social strata, the authority, and the justice. In addition, the study aims at understanding how the theater reflects the social and historical transformations and raises philosophical questions about existence and meaning, using the analytical descriptive method and the cultural criticism method. Findings show that the theater does not only mirror the society; rather, it reflects the social and psychological struggles faced by the individuals and societies. Besides, the

* المؤلف المرسل

theater fosters the human values and develops the critical thinking, as it raises questions such as justice and equality. In addition, it highly helps achieve a better understanding of the human and the society, and reflects the social circumstances and challenges though adopting innovative topics that go with the socio-cultural changes.

Keywords: theater; human sciences; social interactions; human understanding;

مقدمة:

يعد المسرح من أرقى أشكال التعبير الفني التي تعكس تفاعلات الإنسان ضمن سياقات اجتماعية وثقافية متنوعة. منذ بداياته في العصور القديمة، تطور المسرح ليصبح وسيلة فعّالة لاستكشاف النفس البشرية وفهم المجتمع. في هذا الإطار، تتداخل الدراسات المسرحية مع العلوم الإنسانية، مثل علم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس، مما يوفر رؤى أعمق حول التفاعلات الإنسانية والمعاني الكامنة وراء الأفعال والسلوكيات. يمثل المسرح صورة حية لتحديات الإنسان في مجالات الحياة المختلفة، بدءاً من الصراعات الشخصية وصولاً إلى التوترات الاجتماعية الكبرى، مما يجعل الفن المسرحي مرآة تعكس المجتمع وأداة لفهمه وتحليله. من خلال استكشاف هذه التفاعلات عبر الفن، يمكن للمسرح أن يساهم في تحليل الظواهر الثقافية والاجتماعية التي تؤثر على الأفراد والجماعات، بالإضافة إلى تقديم تساؤلات فلسفية أو حلول تتعلق بالقيم والمعاني التي تحدد وجودنا. وعلى إثر هذا التقديم نطرح التساؤل الآتي: كيف يمكن أن يشكل المسرح نقطة التقاء بين الفنون والعلوم الإنسانية، وما هو دور هذا التفاعل في تعزيز فهم التفاعلات الاجتماعية والفردية داخل المجتمع؟

وبناءً على هذا التساؤل جاءت الفرضيات على النحو الآتي:

- يساهم المسرح في تعزيز الوعي الاجتماعي والنقدي لدى الجمهور من خلال تجسيد التفاعلات الاجتماعية والنفسية.
- يعتبر المسرح وسيلة تعليمية تهدف إلى تعزيز وعي الإنسان بمحيطه الاجتماعي من خلال تقديم تفسيرات فلسفية ونفسية للصراعات التي يواجهها.

- التقاطع بين المسرح وعلم الاجتماع يسهم في فهم كيفية تأثير العوامل الاجتماعية (مثل الطبقات الاجتماعية، السلطة، الثقافة) على الأفراد في المجتمع

أهداف البحث:

سعى البحث إلى دراسة كيفية استغلال المسرح كوسيلة للتعبير عن القضايا الإنسانية والاجتماعية، وكيف يعكس التحديات والتحويلات التي يواجهها الأفراد والمجتمعات في سياقات زمنية وثقافية متنوعة.

1. المسرح كأداة للتعبير عن الإنسان والمجتمع

المسرح يعتبر أداة فنية قوية لفهم الإنسان والمجتمع، "إنه نشاط يتضمن صراعاً يحدد طبيعة القوى المتنافسة، ويتابع تطور هذا الصراع خلال مراحل تصاعده وتوتره، وصولاً إلى لحظات الانفراج، سواء من خلال المصالحة أو من خلال الفصل بين الأطراف المتصارعة" (صليحة، المسرح بين الفن والفكر، 1986، صفحة 19)، حيث يقدم تصويراً دقيقاً للواقع الاجتماعي والتفاعلات الإنسانية. من خلال عروضه، يمكن للمسرح أن يبرز القضايا التي تشغل الأفراد في مجتمع معين. على سبيل المثال، في المسرحيات الكلاسيكية مثل مسرحيات شكسبير، مثل "روميو وجولييت" Romeo et Juliet، يتم تجسيد الصراعات الإنسانية التي تتعدى حدود الشخصيات نفسها لتشمل العائلات، والصراعات الثقافية، والصراع بين الأفراد والنظام الاجتماعي الذي يحكمهم. "فيه يقول "بول سيجل" Paul Siegel إنحب روميو وجولييت يمثل تجسيدا للعناية الإلهية، حيث يُعتبر جزءاً من الحب الكوني الذي يستخدمه الله في رعاية الكون. كما أن وفاتهما تسهم في تحويل الشر والكراهية في العالم إلى توافق اجتماعي من خلال المصالحة بين الأسرتين" (عناي، صفحة 40)، يقدم بول سيجل في هذا السياق تفسيراً فلسفياً يرفع من قيمة قصة حب روميو وجولييت Romeo et Juliet، حيث يعتبرها أكثر من مجرد رواية رومانسية؛ بل يراها رسالة إلهية تهدف إلى معالجة التوترات الاجتماعية من خلال مفهوم التضحية والتفاهم. يبرز "سيجل" Siegel قدرة

الحب على تصحيح الأوضاع المظلمة في المجتمع، مشيراً إلى أن الموت ليس نهاية، بل هو بداية لتحول اجتماعي أعمق يسعى إلى إصلاح ما تم تدميره وتحسين العلاقات بين الأفراد والجماعات.

بناءً على هذا المفهوم، يُعتبر المسرح المجتمعي نوعاً من الفنون المسرحية الذي يدمج بين الجمهور والممثلين في عملية إنتاج العرض، مما يخلق بيئة ديمقراطية وتفاعلية تتيح لجميع أفراد المجتمع التعبير عن آرائهم. يتميز هذا النوع من المسرح بأنه لا يقتصر على المحترفين فحسب، بل يشارك فيه أفراد من مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية، بما في ذلك طلاب المدارس، والعمال، والنساء، والشباب من جميع الأعمار والخلفيات الثقافية. يعد المسرح المجتمعي منصة حيوية لمناقشة القضايا الاجتماعية الهامة مثل حقوق الإنسان، والتمييز، والمساواة، والعنف، وحقوق الأقليات..

يستطيع المسرح أن يسلط الضوء على التوترات الداخلية للشخصيات. مثلاً، قد تكون الشخصيات عاكسة لصراعات اجتماعية، اقتصادية أو سياسية، وفي الوقت نفسه تكون تعبيراً عن أزمة شخصية قد تواجهها في حياتها اليومية. هذا يفتح المجال لفهم أعمق للتحديات التي يواجهها الأفراد في حياتهم الاجتماعية، من التغيرات الثقافية إلى المشكلات الشخصية مثل الهوية، والصراع الداخلي، والمصير، "وهذا ما يميز العمل المسرحي عن باقي الفنون الأخرى بقدرته على استكشاف الرغبات المكبوتة، وإزالة العوائق التي تعيق التغيير، وتحرير الأفراد من القيود التي تعترض أي فرصة أو ضرورة" (غلوم، 1990، صفحة 10)

والمسرح المجتمعي، الذي يشارك فيه الأفراد من مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية، يمثل مثالاً جيداً على كيف يمكن للمسرح أن يكون وسيلة للتعليم الاجتماعي. يعزز المسرح المجتمعي الوعي بالقضايا الاجتماعية مثل حقوق الإنسان، ويعمل على تثقيف الجمهور حول أهمية المساواة في المعاملة والعدالة الاجتماعية.

عندما نتناول التفاعل بين المسرح وعلم الاجتماع، نلاحظ أنّ المسرح يمكن أن يعكس وبشدة الظروف الاجتماعية التي يعيشها الأفراد. كما يقدّم المسرح مشاهد تُظهر تفاعل الأفراد مع المجتمع والتغيرات التي تحدث فيه. المسرحيات الاجتماعية، على سبيل المثال، تُستخدم كمنصة لفحص تأثير الطبقات الاجتماعية، والتحوّلات الاقتصادية والسياسية، والعلاقات بين السلطة والفئات المهمشة.

في العديد من الأعمال المسرحية مثل مسرحية "الأم شجاعة"، هي مسرحية كتبها الكاتب الألماني برتولت بريخت Bertolt Brecht عام 1939. تُعتبر واحدة من أبرز أعماله المسرحية، وتمثل جزءاً من مسرح "الملحمية" الذي كان يسعى إلى تحفيز تفكير الجمهور بدلاً من مجرد إثارة تعاطفهم مع الشخصيات. "أما سبب تسميتها "شجاعة"، فهو أنّها كانت تخشى فقدان ما تملك، لذا تجاوزت نيران المدافع في ريجا، بينما كانت تحمل في عربتها خمسين رغيفاً. وبالتالي، فإنّ شجاعتها ليست شجاعة مثالية، بل هي شجاعة مادية، إذا جاز التعبير، نابعة من الرغبة في الكسب أو الحفاظ على ما تملك، ولم تكن شجاعة من أجل إنقاذ إنسان أو الدفاع عن وطن أو مبدأ" (بدوي، 1978، صفحة 6)، يبرز بريخت كيف أنّ الحرب تؤدي إلى تدمير الأفراد والمجتمعات بشكل دائم. ومع ذلك، تتعامل شخصيات مثل الأم شجاعة مع هذه الحرب ليس كضحايا، بل كمستفيدين اقتصاديين. من خلال هذه المسرحية، يقدم بريخت نقداً حاداً للأوضاع الاقتصادية والسياسية التي تستغل الأفراد وتدفعهم لاتخاذ خيارات قد تبدو منطقية على المدى القصير، لكنها تؤدي في النهاية إلى نتائج مدمرة.

2. المسرح والفلسفة: استكشاف المعاني والمفاهيم

إنّ التفاعل بين المسرح والفلسفة في الفن الدرامي يساعد في طرح أسئلة وجودية فلسفية. المسرح هو ليس فقط وسيلة للترفيه، بل هو أيضاً نافذة تُتيح لنا طرح أسئلة تتعلق بالوجود، والمعنى، والحرية، والموت، وغيرها من القضايا العميقة التي يطرحها الفلاسفة. هذا

المسرح مرتبط بالفلسفة الوجودية التي تبرز أن الوجود يأتي قبل الماهية. حيث يقول جبرا ابراهيم جبرا " المسرح هو وسيلة تعزز المعرفة وتضفي المزيد من الحيوية، خاصة إذا تمكن في النهاية من إخبارنا بأنه نتاج أجيال من العباقرة الذين ساهموا في وضعنا في صميم الوجود الإنساني، بكل ما يحمله من تحديات وأحلام" (صليحة، الحرية والمسرح، 1991، صفحة 10). المسرح، كما يُشير هذا القول، يتجاوز كونه مجرد وسيلة للترفيه؛ إنه بوابة نحو فهم أعمق وأشمل للوجود الإنساني. من خلاله، يستطيع الأفراد أن يعيشوا تجاربهم الخاصة من خلال تجسيد قضاياهم الشخصية والاجتماعية، مما يمنحهم فرصة لاستكشاف أحلامهم ومخاوفهم. المسرح هو نتاج أجيال من المبدعين الذين أسسوا هذا الفن ليضع الإنسان في قلب الاهتمام، ويزودنا بالأدوات اللازمة لفهم تحديات الحياة ورؤية العالم من منظور جديد.

نأخذ على سبيل المثال، مسرحيات صمويل بيكيت Samuel Beckett مثل "في انتظار جودو" En attendant Godot، تُعتبر مثلاً صارخاً على كيفية تناول المسرح لقضايا وجودية تتعلق بالانتظار، والتكرار، والشعور باللاجدوى في الحياة. من خلال شخصيات المسرحية، يعرض الكاتب الفلسفة من خلال المواقف الدرامية التي تعيشها الشخصيات، "تسلط فلسفة المسرح الضوء على الحوار الدائم بين الذات والآخر، مما يخلق تفاعلات مستمرة بينهما" (صليحة، المسرح بين الفن والفكر، 1986، صفحة 21)، يتناول هذا الحوار تساؤلات تتعلق بمعنى الحياة وأهمية الأفعال البشرية. في هذا السياق، يتحول المسرح إلى وسيلة لاستكشاف أسئلة حول وجود الإنسان في الكون، وأهدافه، وسبل عيشه. ومن هذا المنطلق يعد الحوار الدائم بين الذات والآخر تتقاطع بشكل قوي مع مفاهيم علم الإنسان وعلم الاجتماع. في كلا المجالين، يُفهم أن الفرد لا يعيش في عزلة، بل يتفاعل بشكل مستمر مع المجتمع، ويؤثر فيه ويؤثر عليه. "لأن صورة كل فرد عن ذاته تتكون من خلال نظرة الآخرين إليه" (فهيم، 1987، صفحة 14) تبرز هذه الديناميكية في المسرح، حيث

تكون تفاعلات الشخصيات وحواراتها بمثابة نموذج تفاعلي يعكس التفاعل المستمر بين الفرد والمجتمع.

والمسرح لا يقتصر على التعبير عن مشاعر الشخصيات وأحداثها، بل يتناول أيضاً قضايا فلسفية عميقة مثل:

الحرية والاختيار: يثير المسرح تساؤلات حول الحرية الفردية ومدى قدرتنا على اتخاذ القرارات في ظل الظروف الاجتماعية والسياسية التي نعيشها. مسرحيات مثل "مسرحية الذباب" Les mouches تعرض شخصيات تكافح من أجل اتخاذ قراراتها الشخصية في مواجهة ضغوط الحياة، مما يعكس الصراع بين الحرية والقدر، و"الذباب" هي أبرز مسرحية كتبها "سارتر" Sartre، وتعتبر الأكثر تعبيراً عن آرائه الفلسفية وفنه الدرامي. تتميز هذه المسرحية بطرح قضايا تتعلق بالمشكلات المعاصرة بشكل عام، وبالأخص القضايا السياسية. كما تبرز فيها مهارة الحوار وإدارة الشخصيات، بالإضافة إلى القدرة على تحويل الأفكار إلى سلوكيات، مع الحفاظ على القيمة الدرامية للمسرحية" (العشري، 2019، صفحة 16).

وبالتالي تُعد مسرحية "الذباب" من الأعمال التي تتناول موضوع المسؤولية الأخلاقية الفردية في سياق اجتماعي. يواجه "أوريست" Oreste، بطل المسرحية، شعوراً بالذنب عندما يعترف بخطأه ويتقبل مسؤولية أفعاله. في إطار علم الإنسان، يمكن ربط هذه الفكرة بنظريات الضمير الاجتماعي Théories de la conscience sociale، وكيف يتعامل الأفراد مع التوتر بين التمسك بقيمهم الشخصية والالتزام بالقيم المجتمعية، كما تسلط المسرحية الضوء على الصراع بين الإرادة الفردية والضغوط الاجتماعية. يظهر "أوريست" في البداية كأنه مختار للتصرف وفقاً لقيمه الفردية وخياراته الحرة، لكنه في الحقيقة محاصر بشدة بالمفاهيم الاجتماعية والتوقعات التي يفرضها المجتمع عليه. يتماشى هذا مع مفهوم السلطة الاجتماعية في علم الاجتماع Sociologie، الذي يشير إلى أن الأفراد لا يتصرفون بشكل

مستقل تماماً، بل تتشكل تصرفاتهم نتيجة للتوقعات الاجتماعية والأنماط الثقافية التي يعيشون ضمنها،" وبناءً على ذلك، تُعتبر أفعال الأفراد نتاجاً للمجتمع الذي ينتمون إليه" (غولم، 1999، صفحة 39).

من خلال تصرفات الشخصيات في المسرحية، يطرح سارتر سؤالاً فلسفياً حول المسؤولية الاجتماعية: هل يجب على الإنسان أن يتحمل عواقب اختياراته حتى لو كانت تتعارض مع توقعات المجتمع؟ كما يتساءل سارتر عن قدرة الفرد على التمرد على القيود الاجتماعية واتباع ما يراه صواباً في مواجهة القيم السائدة.

العدالة والظلم: تتناول العديد من المسرحيات الفلسفية مفهوم العدالة من خلال الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل. في مسرحية "عطيل" لشكسبير Shakespeare، التي تُعد واحدة من أبرز الأعمال التي استعرضت العواطف الإنسانية المعقدة مثل الغيرة والخيانة والظلم، وقّـم شكسبير موضوعه من خلال محورين رئيسيين: "الأول يبرز أنّ العفة لا تختفي من مدينة مهما كانت فاسدة، بل قد تزداد قوة في نفس المرأة المحصنة كلما قلت العفة بين جيرانها وأقاربها. أما المحور الثاني، فيسلط الضوء على الخداع والنهاية التي يصل إليها رجل ذكي وطماع، بلا ضمير، يتجاوز كل المحرمات ويستخف بكل ما هو منكر في سبيل تحقيق أهدافه" (مطران، 1974، الصفحات 2-3)، ترتبط العلاقة بين هذين المحورين وعلم الاجتماع بكيفية تأثير القيم والظروف الاجتماعية على الأفراد، وكيف تتأثر سلوكياتهم بشكل كبير بالبيئة المحيطة بهم، سواء كانت هذه البيئة تدعم العفة أو تعزز الخداع والمصلحة الذاتية. في النهاية، يعكس فن المسرح كيف يمكن للقيم الاجتماعية والممارسات اليومية أن تسهم في تشكيل السلوكيات الفردية والجماعية، وكيف تؤثر هذه السلوكيات على هيكل المجتمع بشكل عام. وبناءً على ذلك، تظل هذه المسرحية محوراً للدراسة والتفكير في مجالي الأدب والمسرح عبر العصور.

3. المسرح وعلم النفس: استكشاف الأعماق الإنسانية

علم النفس هو أحد العلوم الإنسانية التي تتداخل بشكل وثيق مع المسرح في استكشاف التفاعلات النفسية والمعقدة للإنسان. المسرح يتيح عرضاً حياً ودرامياً للحالات النفسية والتوترات الداخلية التي تواجهها الشخصيات " تعتبر الشخصية بمثابة غطاء يخفي وراءه الفرد الحقيقي، ويتمشى هذا الرأي مع التعريفات التي تركز على التأثير الخارجي الذي تتركه الشخصية على الآخرين" (عبد الخالق، 1987، صفحة 37) ويظهر المسرح كيف تؤثر الظروف الاجتماعية، مثل الفقر، والتمييز، والصراع الطبقي، على الحالة النفسية للأفراد، وكيف يمكن أن تترجم هذه الظروف إلى سلوكيات اجتماعية.

يمكن أن يُعتبر المسرح وسيلة علاجية فعّالة، حيث يُساعد المتفرج على التفاعل مع مشاعره وفهم ذاته بشكل أعمق. كما أشار العديد من علماء النفس، فإنّ مشاهدة العروض المسرحية قد تكون تجربة تصحيحية أو تحررية، حيث يمر المشاهد بتجربة عاطفية، وتكمن القوة العلاجية في القدرة على التعاطف مع الشخصيات وفهم مشاعرهم، " إن أسلوب العلاج بالسيكودراما يُعتبر وسيلة فعّالة لاستكشاف النفس البشرية وأعماقها، حيث يعتمد بشكل أساسي على أسس نفسية وعلاجية إرشادية" (مورينو، 2020، صفحة 16). وعليه السيكودراما Psychodrame هي إحدى طرق العلاج النفسي التي تعتمد على التمثيل الدرامي لمساعدة الأفراد في استكشاف مشاعرهم وتجاربهم الداخلية. يتم ذلك من خلال تجسيد مواقف حياتية تعكس جوانب من حياة الشخص أو علاقاته مع الآخرين. يستند هذا الأسلوب إلى مبادئ العلاج النفسي مثل التحليل النفسي، العلاج السلوكي المعرفي، والعلاج الجماعي.

من خلال السيكودراما Psychodrame، يمكن للأفراد التعبير عن مشاعرهم المكبوتة والتفاعل مع مشكلاتهم النفسية بشكل تجريبي، مما يعزز من فهمهم لذواتهم ويساهم في تحقيق تغييرات نفسية إيجابية.

على سبيل المثال، في المسرح العلاجي أو الدراما العلاجية Drame thérapeutique، يُستخدم المسرح كوسيلة لفهم النفس البشرية وتعزيز الوعي الذاتي، "تتمثل الوظيفة الأساسية لها في التعبير عن انفعالات الفرد ومشاعره المخفية من خلال تجسيد أدوار تتعلق بالمواقف التي مر بها في الماضي، أو التي يعيشها في الحاضر، أو التي قد تواجهه في المستقبل، حيث تتواجد العلامات التي تشير إلى احتمال حدوثها، مما يساعده على تحقيق الشفاء من أي صراع نفسي يعاني منه" (مورينو، 2020، صفحة 14).

ومن زاوية أخرى يشجع علم النفس المسرحي الأفراد على التعبير عن مشاعرهم المكبوتة أو مخاوفهم من خلال الأدوار المسرحية، مما يتيح لهم فهم عواطفهم وتعديل سلوكياتهم في الحياة اليومية، المسرح أيضاً يسمح لنا بفهم حالات القلق، والاكتئاب، والصراع الداخلي الذي قد يواجهه الشخص في حياته اليومية، وبذلك يقدم عرضاً حياً لهذه المشاعر التي غالباً ما تبقى مخفية في الحياة اليومية، "لقد كان الأدب دائماً كاشفاً لأسرار النفس التي قد تخفى عن الناس في تفاعلاتهم اليومية نتيجة للغفلة التي يعيشونها. وتكمن ميزة الأديب في قدرته على اختراق الحواجز وإزالة الأقنعة" (الحفني، 2005، صفحة 10).

يُعبّر الأدب عن عمق فهم النفس البشرية، حيث يتيح للأديب فرصة استكشاف المشاعر والصراعات الداخلية التي قد تكون غائبة عن وعي الفرد أو مخفية عنه. يعتمد علم النفس في بعض جوانبه على إدراك هذه الأبعاد الخفية من الشخصية والسلوك البشري. يمكن للأديب، مثل المعالج النفسي أو الباحث النفسي، أن يكشف عن هذه الأبعاد المخبأة من خلال السرد القصصي وتقديم شخصيات معقدة، تُشبه هذه القدرة التي يمتلكها الأديب تقنيات العلاج النفسي، مثل التحليل النفسي أو العلاج السلوكي المعرفي، حيث يتم الكشف عن مشاعر وأفكار مكبوتة أو مخفية تحت السطح. على سبيل المثال، في العلاج النفسي التحليلي الذي أسسه سيغموند فرويد Sigmund Freud يُشجع الأفراد على استكشاف المشاعر والأفكار اللاواعية التي تؤثر على سلوكهم وتفكيرهم، وهي عملية تتشابه مع

الطريقة التي يكشف بها الأدب عن أعمق جوانب النفس البشرية، و" تتجلى النفسانية بوضوح في بعض الأعمال الأدبية، مثل رواية "السراب" للكاتب نجيب محفوظ" (الحفني، 2005، صفحة 14).

ولا بد من التأكيد على أن علم النفس تأثر بشكل كبير بالمرسح والأدب بشكل عام، حيث استلهمت العديد من المصطلحات النفسية من المسرحيات والأعمال الأدبية. على وجه الخصوص، تم اقتباس بعض التسميات المتعلقة بالعقد النفسية من شخصيات مسرحية، "توجد عقدة أوديب Oedipus Complex التي تُنسب إلى الملك أوديب Oedipus the king، الشخصية الأسطورية التي تُعتبر رمزاً لأعظم مأساة في تاريخ المسرح اليوناني. بالإضافة إلى ذلك، هناك عقدة أوريست وكلينتمسترا واليكترا وجوكاستا وميدرا وفيدرا، والتي تناولها المسرحيون الثلاثة العظماء: إسخيلوس وسوفوكليس ويوريديس" (الحفني، 2005، الصفحات 9-10)، مما يعكس تأثير الأدب والمسرح في فهم الإنسان لطبيعته النفسية ومعاناته، ومنه "يمكن القول إنه لا يمكن تصور المسرح دون وجود التحليل النفسي، كما أنه لا يمكن أن يكون هناك تحليل نفسي دون ارتباطه بالمرسح" (مورينو، 2020، صفحة 16).

4. المسرح والتاريخ: توثيق وتحليل التحولات الاجتماعية

يساهم المسرح بشكل كبير في توثيق التاريخ، حيث يعرض لحظات حاسمة مثل الحروب والثورات والتحولات السياسية والاجتماعية. إنه يعكس الواقع التاريخي بشكل موضوعي، "مما يتيح الربط بين عناصر العمل المسرحي وواقع الأحداث التاريخية، ويخلق سياقاً يتميز بالحيوية والعمق. كما يُنظر إلى النموذج أو النمط ليس كصفة ثابتة أو قاعدة صارمة، بل كمخزون للوعي الجماعي ورؤية شاملة للواقع" (غلوم، 1990، صفحة 7)، وبذلك، يوفر المسرح للمتفرج إمكانية التفاعل مع الأحداث التاريخية بطريقة فنية، حيث يمكنه تقديم تفسيرات متنوعة لوجهات النظر التاريخية من خلال الشخصيات والصراعات الدرامية.

"المقصود هنا هو العلاقة بين المسرحيات والتاريخ، بغض النظر عن شكل هذه العلاقة أو طبيعتها أو مستواها. يمكن أن تكون المسرحية مستندة إلى شخصية تاريخية، أو حدث، أو فترة زمنية، أو مكان معين، أو حتى تجمع بين هذه العناصر جميعاً. وقد تكون المسرحية ملتزمة بجميع حقائق التاريخ، أو ببعضها، أو قد لا تلتزم بها على الإطلاق" (محبك، 1979، صفحة 6).

تعتبر "قضية غاليليو Galilei" لبرتولت بريخت Bertolt Brecht، واحدة من المسرحيات التي تستعرض الصراع التاريخي بين العلم والسلطة الدينية. من خلال هذه المسرحية، سعى بريخت Brecht إلى تسليط الضوء على كيفية التضحية بالحقائق العلمية من أجل الحفاظ على النظام القائم. كما تُظهر المسرحية الصراع الداخلي الذي يعيشه العلماء والفلاسفة في مواجهة القوى التي تسعى لتقليص تأثيرهم " لكن بريخت يقدم لنا حقيقة جديدة من خلال جليلو، الذي انحنى برأسه أمام جلاديه، مما جعل وجه العالم يتجهماً قائلاً: "تعييس هو البلد الذي يحتاج إلى أبطال" (الشرقاوي، 1981، صفحة 8)، يناقش بريخت كيف يمكن أن يتأثر العلماء بالظروف الاجتماعية والسياسية المحيطة بهم، حيث يبرز غاليليو أهمية اكتشافاته في تقدم العلم البشري، لكنه في الوقت ذاته كان مضطراً لاتخاذ قرارات تكتيكية للحفاظ على حياته، مما يعكس التعقيد الذي يواجهه العلماء في الواقع. تبرز المسرحيات التحديات الإنسانية التي تنشأ في مثل هذه الظروف، مما يعزز الفهم التاريخي لدى الجمهور.

يعكس المسرح تفاعل الإنسان مع الأزمات والضغوط التاريخية، "حيث إنه لا يتكون بشكل عشوائي أو نتيجة لعوامل خارجية عن الزمان والمكان الاجتماعي. بل يتشكل من ديناميات التغيير وتأثيرها الدرامي الذي يتجلى في الواقع الاجتماعي" (غلوم، 1990، صفحة 8)، كما يتيح لنا المسرح رؤية هذه الأحداث ليس فقط من منظور المؤرخين، بل من خلال تجارب الشخصيات التي تجسدها المسرحيات، وهكذا يمكننا القول "أن النشاط المسرحي هو نشاط معرفي يقدم تجربة إنسانية حقيقية مستعادة أو فرضية خيالية، تتضمن صراعاً ضمن

إطار مسرحى مصطفى، يتفاعل مع الواقع بهدف خلق الإيهام" (صليحة، 1986، صفحة 20)، يمكن أن تتناول المسرحية في هذه الحالة أحداثاً واقعية مستوحاة من الحياة اليومية (تجربة إنسانية حقيقية) أو قد تتضمن أحداثاً خيالية وغير واقعية (فرضية خيالية). ومع ذلك، في كلا الحالتين، تسعى المسرحية إلى تجسيد التجارب الإنسانية التي تعكس مشاعر وصراعات البشر، "والمسرحية التي تستند إلى التاريخ تمثل محاولة مبتكرة لإعادة تجسيد حياة شخصية تاريخية معينة، أو فترة زمنية معينة، أو جزء منها، وتقديمها في قالب مسرحي" (محبك، 1979، صفحة 16)، وبذلك، يوفر المسرح للجمهور فرصة للتفكير في الأنماط الإنسانية والاجتماعية التي كانت سائدة في الماضي، مما يساعد في فهم تأثير السياقات الاجتماعية على الأفراد. كما يمكن أن يعكس كيفية تفاعل المجتمع مع الأزمات والاختلافات الاجتماعية، مما يعزز من وعينا بدور الثقافة في تشكيل الهوية الإنسانية.

5. المسرح والتربية: تعليم القيم الإنسانية

المسرح، إلى جانب كونه فناً، يعتبر أداة تعليمية رائعة. يمكن أن يسهم في نقل القيم الإنسانية من خلال تجسيد المبادئ الأخلاقية في مواقف حياتية واقعية. من خلال مشاهدة الشخصيات تتعامل مع المواقف التي تتطلب اتخاذ قرارات أخلاقية، يمكن للجمهور أن يتعلم عن العدالة، والمساواة، والحرية، والتضامن، والاحترام المتبادل، "هذا يتماشى تماماً مع فلسفة الفكر التربوي الإسلامي التي تركز على نقل الخبرات إلى المتعلمين من خلال نماذج واقعية تثير الميول الفطرية للإنسان، مثل القدوة الحسنة، والتقليد والمحاكاة" (الناصر، 2013، صفحة 18).

علاوة على ذلك، في المدارس، يصبح المسرح أداة قوية في تعزيز القيم الإنسانية. من خلال إشراك الطلاب في أنشطة مسرحية، يمكنهم تعلم العديد من المهارات الحياتية مثل العمل الجماعي، التعاطف، الفهم المتبادل، والقدرة على التعبير عن أنفسهم، حيث "يعتمد المدخل المسرحي على تقديم محتوى المنهاج للطلاب بطريقة مشوقة وجذابة، مما يجعله

مشاركاً نشطاً بدلاً من كونه متلقياً سلبياً. وهذا يساهم في تعزيز فهم المتعلم وتعمقه في ذهنه" (النواصرة، 2013، صفحة 21). إضافة إلى ذلك، يُعزز المسرح المجتمعي في المدارس من قدرة الطلاب على التواصل الفعّال والتفاعل مع مختلف القضايا الإنسانية والاجتماعية من خلال تجسيد الشخصيات والتفاعل مع النصوص التي تمس حياتهم الواقعية.

يمتاز المسرح بدور بارز في تعزيز العمل الجماعي، حيث يعتمد العرض المسرحي على تعاون جميع الأفراد، بما في ذلك الممثلين والمخرجين ومصممي الإضاءة والديكور. من خلال المشاركة في إنتاج مسرحي، يكتسب الأفراد مهارات التعاون والتفاعل الإيجابي مع الآخرين لتحقيق هدف مشترك، وعلى هذا الأساس "لا يمكن للإنسان أن يعيش بمفرده، بل يحتاج إلى مجتمع يتفاعل معه، حيث يأخذ منه ويقدم له، يستفيد من جهوده ويفيد بدوره من طاقاته الخاصة" (فهيم، 1987، صفحة 12) مما يعزز قيم التعاون والاحترام المتبادل والعمل الجماعي.

كما يوفر المسرح بيئة تعليمية تحفز على التفكير النقدي والتحليل. من خلال مناقشة العروض المسرحية وتحليلها، يتعلم الأفراد كيفية تقييم القيم والأفكار المطروحة في العمل المسرحي، مما يساهم في تطوير مهارات التفكير النقدي ويشجعهم على النظر بعمق في القضايا الأخلاقية والاجتماعية.

المسرح يُعتبر وسيلة لاستكشاف ثقافات متنوعة وأفكار مختلفة. من خلال العروض المسرحية التي تقدم قصصاً من تجارب وثقافات متعددة، يتمكن الطلاب من تقدير واحترام التنوع الثقافي والديني، مما يعزز القيم الإنسانية المرتبطة بالتسامح والقبول، "أي أن النظريات الدرامية المختلفة الواعية ما هي في حقيقة الأمر إلا محاولة لإملاء شكل درامي معين يعكس ويخدم اتجاهها فكرياً معيناً، سواء كان فردياً أو جماعياً" (صليحة، 1986، صفحة 17)، مما لا شك فيه أن التوجهات الفكرية المتنوعة في المسرح تلعب دوراً مهماً في تشكيل هوية ثقافية محددة. من خلال تقديم مشاهد درامية تعكس التقاليد والعادات والمعتقدات

المختلفة، يمكن أن تكون الدراما وسيلة فعالة لتعزيز الفخر بالثقافة وحمايتها. تسهم هذه العملية في الحفاظ على التراث الثقافي وتعليم الأجيال الجديدة قيمة هذا التراث وأهمية المحافظة عليه.

على سبيل المثال، يمكن أن يسهم المسرح الذي يعكس حياة وتقاليد المجتمع المحلي في تعزيز هوية ثقافية قوية تُدّر التنوع داخل هذا المجتمع، وتُعلم الأفراد كيفية المساهمة في الحفاظ على التعدد الثقافي في حياتهم اليومية.

6. خاتمة

في الختام، يمكننا أن نستنتج أن المسرح يمثل وسيلة متعددة الأبعاد للتعبير عن الإنسان والمجتمع. فهو يمتلك القدرة على استكشاف مفاهيم فلسفية عميقة، وتحليل التحولات الاجتماعية عبر العصور، والغوص في أعماق النفس البشرية. من خلال المسرح، يستطيع الأفراد تسليط الضوء على القضايا الأساسية التي تؤثر في المجتمع، مثل العدالة والحرية والتسامح، مما يعزز من فهمهم للقيم الإنسانية المشتركة. كما يلعب المسرح دوراً مهماً في تنمية الوعي الاجتماعي من خلال تقديم شخصيات وأحداث تعكس التحديات والفرص التي يواجهها الأفراد في سياقات اجتماعية متنوعة.

عند دمج المسرح مع الفلسفة وعلم النفس، يُفتح المجال لاستكشاف أسئلة وجودية ومعرفية تتعلق بمعنى الحياة والمشاعر الإنسانية، مما يعمق الفهم الشخصي والاجتماعي. في الوقت نفسه، يُعتبر المسرح وسيلة فعالة في التربية، حيث يُساهم في تعليم القيم الإنسانية للأطفال والشباب من خلال تجسيد المواقف الأخلاقية والشخصيات التي تعكس المجتمع. وبالتالي، يظل المسرح أداة حيوية وفعالة تؤثر في تشكيل الفكر الإنساني والمجتمعي، وتعزز من قدرة الأفراد على التفاعل مع العالم من حولهم بوعي وفهم أعمق.

قائمة المصادر والمراجع

- ابراهيم عبدالله غلوم. (1990). المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي. الكويت: عالم المعرفة.
- أحمد زياد محبك. (1979). المسرحية التاريخية في المسرح العربي المعاصر. دمشق: دار طلاس.
- أحمد محمد عبد الخالق. (1987). الأبعاد الأساسية للشخصية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- الشرقاوي، ب. ب. (1981). حياة غاليليه. بيروت: دار الفارابي.
- إيان كريب، تر: محمد حسين غلوم. (1999). النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس. الكويت: عالم المعرفة.
- برتولت برشت، تر: عبدالرحمان بدوي. (1978). المسرح العالمي. الكويت: وزارة الإعلام.
- جاكوب ليفي، تر: محمد أحمد محمود خطاب مورينو. (2020). السيكودراما. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- جان بول سارتر، تر: جلال العشري. (2019). الوجودية إلى العبث. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- جمال محمد النواصرة. (2013). مسرحية المناهج الدراسية. عمان: دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع.
- عبد المنعم الحفني. (2005). موسوعة عالم علم النفس. بيروت: دار النشر والتوزيع دار نوبليس.
- محمد عناني. (). وليام شكسبير روميو وجولييت. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- مصطفى فهمي. (1987). كيف النفسي. مصر: دار مصر للطباعة.
- نهاد صليحة. (1991). الحرية والمسرح. القاهرة: المكتبة الثقافية.
- نهاد صليحة. (1986). المسرح بين الفن والفكر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- وليام شكسبير، تر: خليل مطران. (1974). عطيل. بيروت: دار مارون عبود.